سلاح ايديولوجي وسياسي في خدمة « النظام الاجتماعي القائم » (وفي اسرائيل ، في خدمة الامر الواقع) .

٣ ــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل الايديولوجية الامبريالية المسيطرة التي هي جزء لا يتجزأ منها ، تنتج تأثيراتها عن طريق التوجه الى الاطراف الاجتماعية العاملة ومناداتها باسم مطلق خيالي عليها أن تؤمن به وتخضع له . وهكذا فان الجنس اليهودي والشعب المختار وأرض الميعاد والفردوس والعمل اليهودي والانتاج اليهودي والوطن والدولة والوحدة المقدسة هي كلها مطلقات بنيت الايديولوجية الصهيونية حولها واستمرت في المحافظة على التماسك القومي وعلى اضفاء الشرعية على الممارسات الاقتصادية والسياسية التي ادت ، في الوضع الفلسطيني ، الى مقاطعة اليد العاملة العربية (باسم العمل اليهودي والانتاج اليهودي) والى اقتلاع الفلسطينيين من أراضيهم (باسم أرض الميعاد والشعب المختار) والى توسيع حدود اسرائيل (باسم اسرائيل الكبرى والامر الواقع) والى اخضاع أهالي المناطق المحتلة (باسم مبدأ الاقوى) .

أما بالنسبة الى مطلق « الوحدة المقدسة » فقد أتاح للطبقة الحاكمة أن تطمس استقلالها وراء شبح « العدو الخارجي » الذي « يدور حول حدود اسرائيل ويسعى الى رمي الجميع في البحر » . ان الصراع الطبقي داخل اسرائيل قد أوقف وتم اطفاء حدته بواسطة هذا المطلق الايديولوجي . وقد نتج عن ذلك أن امكانية ربط صراع الطبقة العاملة الاسرائيلية بنضال الحركة الثورية في المنطقة قد جمدت . ان على المنظمات الثورية داخل الدولة الصهيونية أن تعري المناورات الايديولوجية التي تقوم بها الطبقة المسيطرة وتساهم في خلق وعي طبقي قائم في البداية على قاعدة سياسية .

٤ ــ ان الايديولوجية الصهيونية تنتج تأثيراتها عن طريق نقل مرمى العلاقات الاجتماعية، من خلال التحديد والتوجه ، من صعيد حقيقي ــ محسوس الى صعيد خيالي ، أخلاقي ، ديني وشعوري . ان المرمى الحقيقي للعلاقات القائمة في فلسطين هو عبارة عن استيطان الصهاينة في أرض عربية منذ آلاف السنين . لقد هاجر الصهاينة الى فلسطين واحتلوها في الواقع ثم بعد انشاء دولة اسرائيل بدأوا يشرعون ويسنون القوانين لتبرير هذا الاحتلال قانونيا . لقد حور الصهاينة ، بفضل أجهزتهم الايديولوجية مرمى العلاقات ونقلوه الى صعيد ديني عن طريق وصفهم للصراع بأنه صراع أديان .

لقد وصف العرب بأنهم « معادون للسامية » مخيفون و« نازيون » (يجري دائما التذكير برحلة مفتي القدس الى برلين) ويريدون القيام « بحرب مقدسة » (الجهاد) ليطردوا خارجا اليهود الصغار المساكين الذين يوصفون كلهم بأنهم « داود الصغير » . كما جرى التحوير والتشويه على الصعيد الاخلاقي . ذلك ان الفلسطينيين لم يريدوا أن يستعيدوا فلسطين الا لان الصهاينة ، كما يؤكدون ، قد استغلوها . ولان الدول العربية لا تريد أن تستوعب الفلسطينيين ولان الفلسطينيين ليس عندهم علما وطنيا الخ ...

وتغير اسرائيل كذلك حقيقة المشكلة عندما تصفها على انها قضية حدود ينبغي بالضرورة التوصل الى حل لها اذا كان هناك رغبة في احلال السلام في المنطقة . ان النقاش الذي كان يدور في الاساس حول سبب الاستعمار الصهيوني لفلسطين واقتلاع أهلها منها تغير الان وحور فأصبح يدور على رسم الحدود . وتساهم الايديولوجية الامبريالية في هذا التحوير وتباركه (قرارات الامم المتحدة ، مشروع روجرز ، مشروع الملك حسين ، مشروع دايان ، مشروع آلون الخ ...)

وتقلب الايديولوجية الصهيونية المشكلة الحقيقية وتحولها الى مشكلة لاجئين . الم يكن هناك دائما في تاريخ هذه الانسانية المعذبة لاجئون ؟ لقد كان هناك ، يقول الاسرائيليون،